اجتهادات
صمودُ سلامٍ هش !

إبرام اتفاق سلام هش خيرُ من استمرار نزاعٍ دموى لفترةٍ أطول. هذا ما يراه من يؤمنون بأن السياسة هى فنُ الممكن، وأن سقف ما هو ممكنُ قد يكونُ منخفضًا فى ظروفٍ معينة يصعبُ فيها رفعه. وهناك من يرون، فى المقابل، أن إبرام اتفاق سلام هش قد يُضيعُ فرصةً للتوصل إلى ما هو أفضل منه، وأن التحلى بالصبر وبذل جهدٍ أكبر يمكنُ أن يجعلا غير الممكن اليوم قابلاً للتحقق غدًا. منهجان مختلفان يُختبران مجددًا فى ذكرى مرور ربع قرن على توقيع اتفاق السلام فى أيرلندا الشمالية, المعروف باتفاق الجمعة العظيمة, الذى أوقف نحو ثلاثة عقود من الصراع المذهبى-السياسى الدموى.

بدا أن المنهج الواقعى هو الفائزُ عندما صمد الاتفاقُ لأكثر من عقدين، وأمكن تفادى انفجار أى من الألغام التى بقيت فيه. ولكن تجدد الخلاف بين الراغبين فى بقاء أيرلندا الشمالية جزءًا من المملكة المتحدة، والداعين إلى فصلها والاتحاد مع جمهورية أيرلندا، يضعُه فى اختبارٍ جديد فى ظروفٍ مختلفة مرتبطة بخروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبى «بريكست.

فقد خلقت تداعيات هذا الخروج أزمةً مازالت تفاعلاتُها مستمرةً بشأن قواعد تجارية جديدة تُعامَلُ مقاطعةُ أيرلندا الشمالية على أساسها بشكلٍ مختلف عن باقى أجزاء المملكة المتحدة، فى إطار تسويةٍ هشة أيضًا بين الحكومة البريطانية والاتحاد الأوروبى.

أعادت هذه الأزمة أجواء النزاع. وعاد معها الشعورُ بالقلق من انفجاره مرةً أخرى. وهذا اختبارُ صعبُ لمنهجٍ رائجٍ فى مجال تسوية النزاعات0 ومما يزيدُه صعوبةً أن احتواء الأزمة التى تُهّددُ هذا الاتفاق لا يتوقفُ على الطرفين المتنازعين فى أيرلندا الشمالية فقط، بل على لندن وبروكسل أيضًا.

ويبدو اليوم أن احتمالى حل الأزمة وانفجارها متساويان رغم أن المشهدين السياسى والأمنى يُرجحان احتمال تصاعدها. ولكن لا ننسى أن الشعوب التى اكتوت بنيران حربٍ أهلية تكتسبُ شيئًا من المناعة ضدها. فهل يصمدُ اتفاقُ الجمعة العظيمة الهشُ لفترةٍ أخرى أم ينهار؟ سؤالُ تتجاوزُ أهمية الجواب عنه حدود النزاع فى أيرلندا الشمالية إلى نزاعاتٍ أخرى فى العالم.